

## التحرير والتنوير

كان مقتضى الظاهر من التنظير أن يقدم قوله ( وأنه هو أغنى وأقنى ) على قوله ( وأن عليه النشأة الأخرى ) لما في قوله ( وأنه هو أغنى وأقنى ) من الامتنان وإظهار الاقتدار المناسبين لقوله ( وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحى وأنه خلق الزوجين ) الخ . إذ ينتقل من نعمة الخلق إلى نعمة الرزق كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم ( الذي خلقتني فهو يهدين وهو والذي يطعمني ويسقين وقوله تعالى ( ا الذي خلقكم ثم رزقكم ) ولكن عدل عن ذلك على طريقة تشبه الاعتراض ليقرن بين البيانين ذكر قدرته على النشأتين .

ومما يشابه هذا ما قاله الواحدي في شرح قول المتنبي في سيف الدولة : .

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم .

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاء وثغرك باسم أنه لما أنشد هذين البيتين أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدريهما وقال : ينبغي أن تطبق عجز الأول على الثاني وعجز الثاني على الأول ثم قال له : وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله : .

كأني لم أركب جوادا للذة ... ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال .

ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل ... لخليلي كرى كرة بعد إجمال E A ووجه الكلام في البيتين على ما قاله أهل العلم بالشعر أن يكون عجز الأول على الثاني والثاني على الأول " أي مع نقله كلمة " للذة " من صدر الأول إلى الثاني, وكلمة " ولم أقل " من صدر الثاني إلى الأول ليستقيم الكلام " فيكون ركوب الخيل مع المر للخليل بالكر وسبأ الخمر مع تبطن الكاعب فقال أبو الطيب " أطال ا عز مولانا إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا , ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملة والحائك يعرف جملة وتفصيله , وإنما قرن امرؤ القيس للذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة في شراء الخمر الأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء , وإنما لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه , ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاء , لأجمع بين الضدين في المعنى " اه .

ولو أن أبا الطيب شعر بهذه الآية لذكرها لسيف الدولة فكانت له أقوى حجة من تأويله شعر امرئ القيس .

وجملة ( وأن عليه النشأة ) تحقيق لفعله إياها شيها بالحق الواجب على المحقوق به بحيث لا يتخلف فكأنه حق واجب لأن ا وعد بحصول بما اقتضته الحكمة الإلهية لظهور أن ا لا يكرهه

شيء , فالمعنى : أن ا□ أراد النشأة الأخرى كقوله تعالى ( كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة ) .

والنشأة : المرة من الإنشاء , أي الإيجاد والخلق .

والأخرى : مؤنث الأخير, أي النشأة التي لا نشأة بعدها , وهي مقابل النشأة الأولى التي يتضمنها قوله تعالى ( وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ) . وهذه المقابلة هي مناسبة ذكر هذه النشأة الأخرى .

وقرأ الجمهور ( النشأة ) بوزن الفعلة وهو اسم مصدر أنشأ , وليس مصدرا , إذ ليس نشأ المجرد بمعتد وإنما يقال : أنشأ .

وقرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ( النشاءة ) بألف بعد الشين المفتوحة بوزن الفعالة وهو من أوزان المصادر لكنه مقيس في مصدر الفعل المضموم العين في الماضي نحو الجزالة والفصاحة . ولذلك فالنشاءة بالمد مصدر سماعي مثل الكآبة . ولعل مدتها من قبيل الإشباع مثل قول عنتره : .

" ينباع من ذفرى غصوب جسة أي نبع .

وتقديم الخبر على اسم ( أن ) للاهتمام بالتحقيق الذي أفادته ( على ) تنبيها على زيادة تحقيقه بعد أن حقق بما في ( أن ) من التوكيد .

( وأنه هو أغنى وأقنى [ 48 ] ) ومعنى ( أغنى ) جعل غنيا , أي أعطى ما به الغنى , والغنى التمكن من الانتفاع بما يحب الانتفاع به .

ويظهر أن معنى ( أقنى ) ضد معنى ( أغنى ) رعيًا لنظائره التي زاوجت بين الضدين من

قوله ( أضحك وأبكى ) و ( أمات وأحيا ) , و ( الذكر والأنثى ) , ولذلك فسره ابن زيد والأخفش وسليمان التميمي بمعنى أَرْضَى